مقدمة :

يندرج الحديث في هذا المقياس (المدارس اللسانية) عن أهم المحاور التي أرستها هذه الأخيرة من خلال توسيع العديد من المفاهيم ، وتحديد أبرز الأعلام والشخصيات الفاعلة ، وأهم القضايا والخصائص المتعلقة بالتوجه اللساني في كل حلقة ، والتي يمكن في الكثير من الأحايين أن تمدّ الدرس اللساني المعاصر بإسهامات أصحاب هذا الاختصاص وغيره من بدايات المرحلة السوسيرية في ضبط حاصل التطورات الأساسية الكبرى ضمن حقل اللسانيات عموما إلى ما يستجد ضمن هذا الطرح من تصورات التداولية وما بعدها ..

من هنا فجدير بالذكر أن تتصف هذه المحاضرات بالدقة والتركيز، والتفصيل والنمذجة، مما يجعل العمل متاحا لطلبة العلم في هذا المستوى دون المطالع والمتوسع ، ولعل القدر الذي نكتفي به في بعض المرات يكون كفيلا بالتمثيل عن النظرية أو الرأي دون المساس بالشمولية و الإحاطة .

كما تجدر الإشارة إلى ما كان من ضبط للمصادر والمراجع في آخر كل محاضرة على اعتبار ما يمكّن المتصفح لهذه الدروس من العودة إليها بيسر وسهولة ، ثم لأن غالبية ما يكون من المراجع قد يستفاد منه في درس دون آخر مما يعسر على المتناول لها بتتبع تفاصيل احتياجه منها .

ولقد مكّنتنا العديد من المواقع الإلكترونية والصفحات المتخصصة من الاستفادة من ضبط هذه الدروس ، محاولين الاختصار والتجاوز للكثير من التفاصيل والجزئيات بما نحسبه غير مخلّ في عموم الطرح والاختيار ، كما حاولنا جاهدين التعليق والتعقيب والإشارة إلى ما تستوجبه الملاحظة في بعض المواضع .

تأتي في مقدمة هذه الدروس المحاضرة الافتتاحية الموسومة بـ (في الإطار المفاهيمي من خلال ضبط اصطلاحي للنظرية والمدرسة والحلقة والمنهج) والتي يمكن من خلال عنوانها معرفة أهم ما يندرج تحتها من محاور.

المحاضـرةالأولى : في الإطار المفاهيمي

(مفهـوم المدرسة /الحلقة / النظرية / المنهـج)

تمهيد :

قبل الحديث عن المدارس اللسانية وأعلامها حريّ بالدّارس أن يعرّج إلى التّعريف بها وبما تتقاطع معه من المدلولات من قبيل (النظرية والحلقة والمنهج) لغويّا واصطلاحيّا، ثمّ التعرّض إلى سبر أغوارها وتفاصيلها.

يشمل الدّرس اللّغوي الحديث قطاعات اللّغة الأساسية، وهي الأصوات والصّرف والنّحو والمعجم والدّلالة، وما ينساق معه من معارف هي من قبيل ما تتحقق به طبيعة التواصل اللغوي كااسياق والتداولية وملابسات الخطاب .... وغيرها ، لذا يتميّز الدّرس الحديث عمّا سبق بجانب تنظيريّ عميق، ووضع أسس منهجية عامّة للتّحليل اللّغوي، كما عني بوصف اللّغات ودرسها للوصول إلى العوامل المؤثّرة في النّشاط اللّغوي، واعتماد المناهج والنظريات اللّغوية وسيلة وحيدة لدرس الظّواهر اللّغوية كافّة ، من هنا صرفت البحوث وانشغلت الفهوم بالبحث في فحوى طرائق هذا الوصف بين مدرسة ونظرية ، وحلقة ومنهج ، وصار لزاما على الباحث معرفة معنى الواحدة منها .

- **<u>أولا</u> - المنهج :**

يتأسّس القول هنا على لفظ (منهج) واصطلاحه، ومجمل القول في هذا الباب ما تعنيه مادّة (نهج) في المعاجم اللّغوية والدّلالية، إذ تحيلنا لفظة (منهج) إلى معنى (الوضوح والاستبانة) .

المنهج لغة :

المنهج والمنهاج : هو الطّريق الواضح، والنّهج بتسكين الهاء هو الطّريق المستقيم، طريق نهج بين واضح وهو النّهج وأنهج الطّريق: وضُحَ واستبانَ وصار نهجا بيّنا واضحا . كذلك جاء عند ابن منظور في اللّسان، كما يعني عند غيره نفس المعنى وزيادة (الجواهري والفراهيدي وغيرهما).

والمنهج بمعنى الخطّة والدّراسة ومنهاج التّعليم ونحوهما، وقد أجمعت جلّ المعاجم أنّ المنهج هو الطّريقة أو الأسلوب لتيّار معيّن، كما يُستخدم دلالة على طريقة البحث عن المعرفة والاستقصاء، فالمنهج إذن بهذا الحاصل هو الأسلوب الذّي يقود إلى هدف معيّن في البحث والتّأليف أو السّلوك.

والمنهج يعني الطّريقة أو مجموعة الإجراءات التّي تُتّخذ للوصول إلى شيء محدّد، كأن نتّخذ خطوات تُحلَّل بها الكلمة صرفيّا، ذلك أنّ المنهج أو المنهاج يرد في العربية على معنى الطّريق الواضح، والمنهاج الخطة المرسومة (محدّثة)، ومنه منهاج الدّراسة أو منهاج التّعليم ...والجمع (مناهج).

أمّا اصطلاحا : فهو بوجه عام وسيلة محدّدة توصل إلى غاية معيّنة، وخطّة منظّمة لعدّة عمليات ذهنيّة او حسّية بغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها ، مناهج البحث هي الطّرق التّي يسير عليها العلماء في علاج المسائل، والتّي يصلون بفضلها إلى ما يرمون إليها من أغراض .

- **وخلاصة القول :**

فإنّ المنهج هو مجموعة من القواعد العامّة التّي يتمّ وضعها بقصد الوصول إلى الحقيقة في العلم، إنّه الطّريقة التّي يتبعها الباحث في دراسة المشكلة لاكتشاف الحقيقة، أو الوصول لتحقيق الغاية المراد الوصول إليها، والمناهج أو المذاهب أو المدارس عديدة متعدّدة .

والسّؤال الذّي ينبغي طرحه ههنا هو: ما الفرق بين المنهج الحديث والدّراسة القديمة للّغة؟

ولعلّ الجواب ما أفاد به (دافيدكريستل- David Kristel) إذ يُعدّ حجر الزّاوية، يتلخّص في كلمة واحدة هي (العلمية- Scientifiness) استعمال الأساليب العلميّة التّي يعتمد عليها الموضوع أي المنهج العلمي، والذّي يتمثّل في ملاحظة الظّواهر ثمّ إقامة الفرض النّظري الذّي يفحص بعد ذلك منهجيّا، عن طريق التّجريب وتحقيق الفروض، كما يهتم بوضع أصول نظرية علميّة ومصطلح علميّ ثابت وواضح، وهذا ما تقوم عليه الدّراسات اللّغوية الحديثة .

- **<u>ثانيا</u> - النظرية :**

سنحاول ههنا صرف النظر عن الإطار اللغوي الصارم ، لنبحث النظرية من جهة تكاد تكون متخصصة ، فحوى التساؤل من خلاله : " سيظل قائما على رأس كل نظرية في كل عصر ، فيجددها أو يعمل على تغييرها "[1].

ما النظرية – إذن - ؟ ماهي جملة الاسئلة التي تؤسس لمعرفة نظرية ما ؟ وهل يمكن الجزم بوجود نظرية لسانية ؟ .

---

[1] - منذر عياشي : مقال " مناهج اللسانيات ومذاهبها في الدراسات الحديثة " – مجلة ثقافات / ٢٠٠٥ .

من خلال ما سبق سيجيبنا الأستاذ(منذر عياشي) - في مقال مركز- على الكثير من التساؤلات التي تؤسس لهذا المعنى وما ينساق معه ، إذ يناقش تعريف فولكييه للنظرية بأنها[٢] :

- تمثيل عقلاني من جهة ،
- وانها بناء عقلي يرتبط بوساطة عدد من القوانين التي يمكن ان تستنتج منه مباشرة .
- ولأنها تقف وسطا بين الفرضية والنسق .

فبالنسبة للتمثيل العقلاني اي تجريد لا تجسيد ، او هو انتقال من الاشياء إلى متصوراتها ، وأما كون النظرية بناء فهذا يستدل به أن له قوانين لا يمكن ان تكون خارجة عنه ، وأما وقوفها بين الفرضية والنسق فهذا يحيلنا إلى معرفة السبب ، (سبب يتعلق بالفرضية ، وسبب يتعلق بالنسق) إذ ما يتعلق بالفرضية :

- لأن الفرضية اقتراح ومعطى أولي ، مقبول مؤقتا لكي يستخدم قاعدة للاستدلال والبرهان ، والتفسير ويبرر هذا الاقتراح أو هذا المعطى باستخلاص النتائج وبالتجربة .

و أما النسق :

- لأنه يمثل مجموعة من الافكار أو المبادئ المترابطة على نحو تشكل فيه كلاّ علميا او نظريا .
- لأنه - أيضا - توليفة من عناصر تنتمي إلى النوع نفسه ، وإنها لتجتمع كي تشكّل جمعا حول مركز.

من هذا التأسيس المعرفي للنظرية يتاتى القول بأن اللسانيات إذا أرادت ان تكون نظرية في اللغة ، فإنها يجب أن تنطلق من وقائع معينة تتمثل في بعض المعطيات اللغوية ، فتصفها وتضع حولها الفرضيات ، بحثا عن النظام واستنباطا للنسق الذي يجمع عناصرها في كل موحّد . إن اللسانيات عندما تمارس هذا الضرب من الاشتغال العقلاني ، فتنتقل من الوقائع اللغوية إلى القوانين المنتجة لهذه الوقائع ، تؤسس لنفسها بناء عقليا يسمى النظرية .

كما تتجسد اهداف نظرية ما في :

- أن تجعل الكفاءة بتوسط القواعد المستنبطة من الوقائع والنسق الجامع لها في كل واحد ، أمرا صوريا ونموذجا عقلانيا.

---

[٢] - المقال السابق .

- لكي تكون اللسانيات نظرية عقلانية يجب عليها أن لاتتوقف في وجودها منهجا على وجود التجربة .
- تسعى النظرية في اللسانيات غلى الانتقال من الكلام آداء كما قائم في الأعيان إلى الكلام بنى و أنساقا ونماذج كما يمكن أن تقوم في الأذهان .

- **ثالثا - المدرسة و الحلقة[٣] :**

سنحاول في هذه الجزئية من المحاضرة التطرق إلى معنى (المدرسة والحلقة) كما عرفها أهل اللغة ، ومنها إلى معناها الاصطلاحي الذي يتحدد من خلاله الفرق بين باقي نظيراتها من المصطلحات .

المدرسة في اللغة :

من درس ، يدرس ، ودرس الشيء بمعنى : طحنه، وجزءه ، درس الحب طحنه ، درس الدرس جزءه ، وسهل ، ويسّر تعلمه على أجزاء ، فيقال درس الكتاب ، يدرسه دراسة، بمعنى :قراءة ، وأقبل عليه ، ليحفظه، ويفهمه .

أما اصطلاحا :

فالمدرسة : مكان الدَّرس و التعليم، ويقال : هو من مدرسة فلان؛ أي: على رأيه و مذهبه ، أومن تلاميذه ، وأتباعه .

والمدرسةاليوم هي المؤسسة العامة التي أنشأها المجتمع لتتولى تربية النشء الجديد على المعارف ، والحقائق ، والقيم الاجتماعية، والدينية ، وطرق العمل، والتفكير.
والمدرسة اليوم بإمكانها أن تغيّر نظام المجتمع إلى حد معين ، ولعل هذا عمل تعجز عنه سائر المؤسسات الاجتماعية الأخرى .
والمدرسةأيضا : هي جماعة من الفلاسفة، أو المفكرين ، أو الباحثين ، تعتنق مذهبًا معيَّنًا، أو تقول برأي مشترك ، أو هي مجموعة من الفلاسفة، والفنّانين ، والكُتاب الذين تعكس أفكارهم ، وأعمالهم ، وأساليبهم أصلا مشتركاً ،أو تأثيرًا ، أو اعتقادًا، والمدرِّس في المدرسة المعلِّم، أو الأستاذ .

وعلى هذا الأساس يأتي معنى الحلقة مستمدا فحواه من معنى المدرسة ، ذلك ما غلب على أذهان الدارسين من فكرة الالتفاف على رأي المدرسة وروادها وبعث أفكارهم والانتصار

---

٣ - العبادي عبد الحق : محاضرات مقياس المدارس اللسانية – جامعة ابن خلدون تيارت ٢٠٢٢/٢٠٢١ . من خلال الموقع (file:///C:/Users/HP/Downloads pdf)

إليها فشاع بين اللسانيين مثلا (حلقة براغ اللغوية) و (مدرسة براغ اللغوية) والمراد واحد ... وهكذا

رابعا – المذهب [٤]:

- **المذهب في اللغة** :

هو الطريق والسبيل، يقال : ذهب ذهابا و ذهوبا و مذهبا ، أي : مرّ، ومنه قوله تعالى :" ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لايبصرون " (البقرة ١٧) ، و يقال : ذهبت به الخيلاء ؛أي : أزالته عن وقاره ، وذهب بمعنى توجه ، يقال : ذهب إلى قول فلان أي : توجه إليه، وأخذ به، وذهب مذهب فلان : أي : قصد قصده وطريقته ، وذهب في الدين مذهبا أي : رأى فيه رأيا أو أحدث فيه بدعة ، والمذهب : الطريقة ، والمذهب أيضا المعتقد الذي يذهب إليه صاحبه .

- **المذهب في الاصطلاح** :

هو مذهب العالم سواء كان في العقيدة ، أو في الفقه، أو في أصول الفقه ، وفي علوم الحديث ، أو في اللغة العربية ، أو غيره من العلوم الشرعية ، وعرّف المذهب بأنه : "مجموعة الآراء ، والأفكار التي يراها، أو يعتقدها إنسان ما حول عدد من القضايا العلمية والسلوكية، وجاء في المعجم الوسيط تعريف المذاهب بأنها : الآراء ، و النظريات العلمية ، والفلسفية ارتبط بعضها ببعض ارتباطا يجعلها وحدة منسقة ، والمذهب هو مجموعة الآراء والمعتقدات في مجال ديني أو اجتماعي،أوفلسفي.

فالمذهب : هو الطريقة ، أوالقصد ، أوالرأي ، أو وجهة نظر، أوالمعتقد الذي يذهب إليه ، و مثال ذلك المذهب الأدبي : و هوجملة من الخصائص والمبادئ ، الأخلاقية، والجمالية ، والفكرية تشكل في مجموعها المتناسق لدى شعب من الشعوب ، أو لدى مجموعة من الشعوب في فترة معينة من الزمان تيارا يصبغ النتاج الأدبي،والفني بصبغة غالبة .

تميز ذلك النتاج عما قبله، وما بعده في سياق التطور، ومن ذلك "المذهب الكلاسيكي"، و"الرومنسي"، و"الواقعي"، و"الرمزي" وغيره .

---

٤ - المرجع السابق

مصادر المحاضرة :

- نسيمة نابي، مناهج البحث اللّغوي عند العرب في ضوء النّظريات اللّسانية، مذكرة ماجستير، جامعة مولود معمري-تيزي وزو ٢٠١٠/٢٠١١.
- د/ عبد القادر شاكر، مقال بعنوان: "مناهج البحث اللّغوي"، مجلّة حوليات التّراث، العدد ٠٩/٢٠٠٩، جامعة ابن خلدون تيارت-الجزائر.
- منذر عياشي : مقال " مناهج اللسانيات ومذاهبها في الدراسات الحديثة " – مجلة ثقافات / ٢٠٠٥
- العبادي عبد الحق : محاضرات مقياس المدارس اللسانية – جامعة ابن خلدون تيارت ٢٠٢١/٢٠٢٢ . من خلال الموقع (file:///C:/Users/HP/Downloads pdf)

المحاضرة الثانية : لسانيات دو سوسير

تمهيد :

تمثل هذه المحاضرة المدخل الرئيسي لمجمل ما جاء به العالم اللساني دي سوسير من قواعد وأسس ، ضمن المدار اللساني المقترح على الطلبة والباحثين في هذا المستوى ، علما أن ما تنطوي عليه في حقيقة الأمر هو من مجموع ما تُحصّل عليه من كتب ورسائل ومقالات بحثية تكاد تكون من مشكاة واحدة ، وحري بطالب العلم أن يؤسس لهذه المحاضرة الافتتاحية بماهو ضروري المعرفة ، ألا وهو سياق ظهور اللسانيات السوسيرية عموما ، بدءا من حياته وتآليفه و نشأته العلمية .

- **فرديناند دي سوسير (حياته و نشأته العلمية) [٥]:**

ولد سوسير في جنيف في (٢٦ نوفمبر ١٨٥٧م) و التحق بجامعتها عام (١٨٧٥م)، ليتخصص في دراسة الفيزياء واختلف بين الحين والآخر إلى حلقات البحث في النحو الإغريقي واللاتيني، وقد شجعته هذه البحوث على قطع دراسته ومغادرته إلى جامعة ليبرغ ليتخصص في اللغات الهندو أوروبية يُعتبر سوسير مؤسس اللسانيات الحديثة (١٨٥٧ . ١٩١٣)، حيث قام تلامذته بإعداد محاضرات في علم اللغة عام ١٩١٦م، حيث كان لها أبلغ الأثر على العلوم اللسانية خاصة، والعلوم الإنسانية عامة، وقد حاول تحديد موضوع علم اللغة، بعد النظر إلى شتى فروع العلوم الإنسانية، التي تتداخل وتتشابك وتكّون نسيج النشاط اللغوي لدى البشر، وهو أول من وضع تفرقة بين اللغة والكلام، كما وضع تفرقة أخرى هامة أطلق عليها اسم اللغويات الداخلية واللغويات الخارجية، وتُعتبر كافة النظريات اللغوية الحديثة، مدينة لجهوده التي قام بها ، ويصدر بعد ذلك بأعوام أول كتاب له في اللغات وهو كتاب (النظام الصوتي في اللغات الهندو أوروبية القديمة) عام ١٨٨٧م، وبعد أربع سنوات أصبح عضوًا في الجمعية الألسنية الفرنسية، وعند عودته إلى جنيف شغل كرسي أستاذ اللغات كسنوات طويلة، قدم من خلالها سلسة من المحاضرات نُشرت بعد وفاته، وقد طُبع الكتاب بعناية من تلاميذه سنة ١٩١٦م، أي بعد وفاته بثلاث سنوات، وقد تُرجم إلى العربية بعنوان (محاضرات في الألسنية) ، وغيرها من الترجمات لعنوان الكتاب (دروس في اللسانيات العامة) ...وهو في الأصل صيغة موحدة لعمل أنجز على مراحل ، إذ " يبين سوسير ان الإنسان لا يتحكم في اللغة . وقد ساهم بمساءلته للمساءلة النحوية ، وكذا للكيفية التي تعمل بها بالنسبة للذات المتكلمة في انتزاع

---

[٥] - عبد الله خضر حمد : مناهج النقد الأدبي (السياقية والنسقية) – دار القلم للنشر – بيروت / ٢٠١٧ – ص : ١٣٣ وما بعدها

التفكير في اللغة من تلك البديهيات التجريبية ، كما أن النظرية السوسيرية أحدثت بدراستها اللغة موضوعا مجردا ، ونسقا نوابضه خارجة عن الفرد وعن الواقع المادي ، أثرا تدميريا للفاعل البسيكولوجي الحر، والواعي الذي ظل سائدا في التفكير الفلسفي ، وفي العلوم الإنسانية ، حتى نهاية القرن التاسع عشر" ، وقد بدأ سوسير كتابه المذكور آنفًا بتعريف اللغة ذاتها مميزًا بين ثلاث مستويات من النشاط اللغوي (اللغة، واللسان، والكلام).

إذن فيعدُّ دي سوسير عالم اللغويات، والأب المؤسس لمدرسة البنيوية في اللسانيات و هو من أشهر علماء اللغة في العصر الحديث، حيث اتجه تفكيره نحو دراسة اللغات دراسة وصفية،حيث كانت اللغات تدرس دراسة تاريخية ، بل يعتبر دي سوسير مساهمًا كبيرًا في تطوير العديد من نواحي اللسانيات في القرن العشرين .

ولكن نودُّ أن نُشيرَ إلى أن دي سوسير لم يكن منكرًا لقيمة الدراسة التاريخية، ولكنه رأى أن الدراسة التاريخية للظواهر اللغوية يجب أن تأتي تابعة لدراسة اللغة كنظام مستقل بفترة زمنية معينة وجماعة بشرية معينة، فمعرفة النظام يجب منطقيًا أن تسبقَ معرفة التغيرات التي تطرأ عليه .

- **أهم ما جاء به دي سوسير[٦] :**

لقد توصل دي سوسير إلى أربعة كشوف هامة تتضمن :

- أولاً مبدأ ثنائية العلاقات اللفظية أي (التفرقة بين الدال والمدلول)،
- ثانيًا مبدأ أولوية النسق أو النظام على العناصر،
- ثالثًا مبدأ التفريق بين اللغة والكلام،
- رابعًامبدأ التفرقة بين التزامن والتعاقب .

فلو رأينا المبدأ الأول لوجدناه يتحدث عن الكلمة، فالكلمة عنده هي إشارة وليست أسمًا لمسمى بل هي كل مركب يربط الصورة السمعية والمفهوم، وهو يقصد بذلك الدال وهو الصورة السمعية، وأما المدلول فهو المفهوم ، وبصورة أخرى فالدال يعني الصورة السمعيّة التي تمس أذن السامع عن التلفظ بالإشارة أو الإشارات، وهو ما يتعلق بالجانب

---

[٦]- موضوع مبادئ اللغة عند دي سوسير :

https://www.tarbikafa.com/2017/01/principles-of-language-when-de-Saussure.html

الفيزيائي من التعبير، أما المدلول فيعني هو ما يحوّله السامع من صورة سمعية إلى صورة مفهوميه، أو معنى ، و هو ما يتعلق بالجانب النفسي والاجتماعي من التعبير .

أما المبدأ الثاني الذي اكتشفه سوسير، وهو أولوية النسق أو النظام على العناصر إذ يعتبر النسق ما يتولد عن اندراج الجزئيات في سياق أو هو بنيويًا ما يتولد عن حركة العلاقة بين العناصر المكوّنة للبنية، باعتبار أن لهذه الحركة انتظامًا معينًا يمكن ملاحظته وكشفه ، فهو يُشير بذلك على أن اللغة نظامٌ، ويُريد بنية هذا النظام ، وذلك لكونه مؤلفا من وحدات لها تأثير متبادل على بعضها فهو يدعو إلى تحليل البنية (النظام) وكشف عناصرها كالرموز والصور والموسيقى في نسيج العلاقات اللغوية أي في أنساقها؛ لمعرفة ملابسات بُنيتها من الداخل والخارج، فيريد البحث عن مجموعة العناصر وعلاقاتها المتشابكة داخل هذا النظام .

أما المبدأ الثالث وهو التفرقة بين اللغة والكلام، وتحدثنا في المبدأ الأول عن اللغة بأنه يعتبرها نظامًا من الإشارات التي تعبر عن تلك اللغة، فهو بذلك يُفرق بينهما فاللغة مجموعة القواعد والوسائل التي يتم التعرف اللغوي طبقًا لها، أما الكلام فهو الطريقة التي تتجسد من خلالها تلك القواعد والوسائل في موقف بعينه، ولوظيفة بعينها.

ولكن كان اهتمام دي سوسير في معالجتهِ لمكونات العملية الإبداعية الكلامية باللغة دون الكلام؛ لأن الكلام في رأيه فعل فردي لا يمثل سوى بداية اللسان أو الجزء الفيزيائي، وهو مستوى خارج الواقعة الاجتماعية .

أما المبدأ الرابع والأخير وهو التفرقة بين التعاقب والتزامن، حيث يرى سوسير أنه من الممكن أن تكون دراسة نسق اللغة إما تزامنية أو تعاقبية، ويعرّف سوسير هذين المصطلحين بقولهِ: "يمكن أن نصف كل شيء يرتبط بالجانب السكوني من عملنا بأنه تزامني، في حين يمكن أن نصف كل شيء له علاقة بالتطور يوصف بأنه تعاقبي" .

وهكذا نلحظ بأن التزامنية تختص بوصف حالة اللغة، في حين أن التعاقبية تختص بوصف المرحلة التطورية للغة .

- **مستويات اللغة عند دي سوسير[٧] :**

ولعل من إسهامات سوسير المهمة بأنه بيّن ثلاثة مستويات للغة : أولاً اللغة كنظام، وثانيًا اللغة كصياغة، وثالثًا اللغة كمنطق .

---

[٧]-عبد الله خضر حمد : مناهج النقد الأدبي (السياقية والنسقية) – دار القلم للنشر – بيروت / ٢٠١٧ – ص : ١٣٣ وما بعدها

أما **اللغة كنظام** فتُدرس بوصفها نظامًا كونيًا، شأنها شأن أي نظام كوني آخر، ومعنى هذا بأن النظام يختص بوصف اللغة كظاهرة اجتماعية، أما **اللغة كصياغة** فهي التي تميز قدرة الفرد على استغلال كل طاقات اللغة في إطار نظامها، بمعنى أن اللغة كصياغة تكشفُ لنا عن طاقتين: طاقة فردية، وطاقة لغوية عام، وأما **اللغة كمنطق**، فتمثل مستوى من مستويات اللغة، فهي تخرج تلقائيًا بوصفها عملية توصيل مباشر للفكر.

والذي يهمنا في هذه المستويات هو اعتباره اللغة نظامًا وذلك النظام ينقسم إلى قسمين: نظام زمني ونظام وصفي، أما من الناحية الزمنية فقد شبه اللغة بلعبة الشطرنج إذ إن انتقال هذه اللعبة من الهند إلى أوروبا أو غيرها لا علاقة له بنظام اللعبة ووضع الأحجار في زمن معين، بين اللاعبين تحدده اللعبة السابقة واللعبة اللاحقة، إذن وضع الأحجار متغير غير ثابت، وكذلك وضع اللغة، فاللغة في كل فترة زمنية تختلف عنها في الفترة الزمنية السابقة؛ لأنها تأخذ وضعًا جديدًا.

وبهذا نستنتج بأن الكلمة بناءً على ذلك هي جزء في سياق زمني خاضعة له، لها علاقة بما سبقها وبما سيسبقها من كلماتٍ .

أما من الجانب الوصفي فإنه يتطرق في ذلك إلى العلاقة السياقية (ومقصود السياق ههنا بنوعيه اللغوي وغير اللغوي) في الكلمة يقول سوسير: "بمعنى أنني أدرس وظيفة الكلمة في حالها الذي تقدم فيه اللحظة الراهنة، وليس في إطارها التاريخي، أي أنها تُدرس في علاقاتها المنطقية بينها وبين الكلمات الأخرى المستخدمة في سياق التعبير".

والمجال الوصفي للغة هو الذي يُفيد في دراسة لغة الأدب؛ لأن النص الأدبي نظام من الكلمات العاملة مع بعضها البعض لإعطاء الدلالة ويمكن أن يكون هذا العمل من خلال التضاد أو الترادف أو الانسجام الصوتي، ويمكن أن تكون تلك الدراسة طريقًا لدراسة قيمة العمل الأدبي من خلال نفسه لا من خلال السياق التاريخي له. وربما كانت هذه الإضافة لسوسير التي مهدت لما سُمي فيما بعد بـ"موت المؤلف" .

أما المستوى الثاني من مستويات اللغة عند سوسير وهو اللغة كصياغة أي الإشارة، والذي أفاد منه دارسو الأدب كل الإفادة في تحليل العمل الأدبي، وذلك في تطوير علم الدلالة اللغوي المكون من المستوى الصوتي والدلالة اللذان يشكلان الدلالة النهائية للتركيب؛ لأن قواعد اللغة غير كافية لفهم التركيب .

ومن إسهامات سوسير أيضًا في مجال علم اللغة أنه فرَّق بين اللغة (باعتبارها منظومة من الأصوات الدالة متعارفًا عليها في مجتمع معين وإن لم توجد كواقع منطوق لدى أي فرد من

أفراده)، وبين الأقوال (وهي كل الحالات المتحققة من استعمالات اللغة ولا يكون واحد منها بل ولا يلزم أن تكون جميعها ممثلة للغة في كمالها ونقائها المثاليين) .

ولا بدُّ لنا من الإشارةِ إلى ما قدمه سوسير بالنسبة إلى التحليل اللغوي، فلديه طريقتين متكاملتين غير متعارضتين، وهما في إطار العلاقات العمودية والأفقية للغة. فالعلاقة الأفقية هي وجود الكلمة داخل سياق معين، وغايتها معرفة ارتباط بعض الكلمات ببعض، أما العمودية أو الرأسية فهي إيجاد الكلمة أي ما تستثيره الكلمة من معنى خارج السياق من خلال علاقة هذه الكلمة بكلمات أخرى في الذاكرة، وغايتها معرفة علاقة الكلمة المذكورة في النص بالكلمات التي من واديها .

- **اللسانيات البنيوية عند دي سوسير[٨] :**

قبل التطرق إلى ما تأسست عليه النظرية اللسانية البنيوية مع فرديناند دي سوسير حري بنا أن نقتفي معنى (البنية) من حيث هي مركز التوجه اللساني في هذه المرحلة ، وقطب رحى المتخصصين معه وبعده .

لغة : يمكننا النظر في كلمة البنية من خلال مجموع التآليف المعجمية التي تؤسس لمعاني الثلاثيِّ (بنى) وتُعني البناءَ أو الطريقةَ، وكذلك تدلُّ على معنى التشييدِ والعمارةِ والكيفيةِ التي يكون عليها البناءُ، أو الكيفيةُ التي شُيّد عليها .

أما اصطلاحا : لقد واجه تحديدَ مصطلحِ البنيةِ مجموعةٌ من الاختلافاتِ ناجمةً عن تمظهرِها وتجليها في أشكالٍ متنوعةٍ لا تسمح بتقديمِ قاسمٍ مشتركٍ؛ لذا فإن جان بياجه ارتأى في كتابه (البنيوية) أن إعطاء تعريف موحد للبنية رهينٌ بالتمييز "بين الفكرة المثالية الإيجابية التي تُغطي مفهوم البنية في الصراعات أو في آفاقٍ مختلفةِ أنواعِ البنياتِ، والنوايا النقديةِ التي رافقتْ نشوءَ وتطورَ كلِّ واحدةٍ منها مقابلَ التياراتِ القائمةِ في مختلفِ التعاليم" .

فجان بياجه يقدم لنا تعريفًا للبينة باعتبارها نسقًا من التحولات :" يحتوي على قوانينهِ الخاصةِ، علمًا بأنَّ من شأنِ هذا النسقِ أن يظلَّ قائمًا ويزدادَ ثراءً بفضلِ الدور الذي تقومُ به هذه التحولاتُ نفسُها، دون أن يكونَ من شأنِ هذه التحولات أن تخرجَ عن حدودِ ذلك النسقِ

---

[٨] - ثامر إبراهيم محمد المصاروة : البنيوية بين النشاة والتأسيس – دراسة تأصيلية – مجلد ١ - . /ketabonline.com/ar/books/18101

أو أن تستعينَ بعناصرَ خارجية، وبإيجاز فالبنيةُ تتألفُ من ثلاثِ خصائصَ: هي الكليةُ والتحولاتُ والضبط الذاتي" .

ظهرت البنيوية اللسانية في منتصف العقد الثاني من القرن العشرين مع رائدها (فرديناند دي سوسير)، من خلال كتابهِ "محاضرات في اللسانيات العامة"، الذي نُشر في باريس سنة ١٩١٦م، وقد أحدثت هذه اللسانيات ابستمولوجية "معرفية" مع فقه اللغة والفيلولوجيا الدياكرونية.

وكان الهدفُ من الدرسِ اللساني هو التعامل مع النص الأدبي من الداخل وتجاوز الخارج المرجعي واعتباره نسقًا لُغويًا في سكونهِ وثباتهِ، وقد حقق هذا المنهج نجاحه في الساحتين اللسانية والأدبية حينما انكب عليه الدارسون بلهفة كبيرة للتسلح به واستعماله منهجًا وتصورًا في التعامل مع الظواهر الأدبية والنصية واللغوية فظهرت البنيوية في بداية الأمر في علم اللغة، وبرزت عند فرديناند دي سوسير الذي يعد الرائد الأول للبنيوية اللغوية عندما طبق المنهج البنيوي في دراسته للغة، واكتشاف مفهوم البنية في علم اللغة دفع بارت وتودوروف وغيرهما إلى الكشف عن عناصر النظام في الأدب .

أما عن نظرية دي سوسير في علم اللغة، فهو يرى أنَّ موضوع علم اللغة الصحيح والوحيد هو اللغة في ذاتِها ومن أجلِ ذاتها، وقد فرّق بين اللغةِ والأقوالِ المنطوقةِ والمكتوبةِ، فاللغة أصواتٌ دالةٌ متعارف عليها في مجتمع معين، وإن لم توجد كواقع منطوق لدى أي فرد من أفرادهِ، أما الأقوال فكل الحالات المتحققة من استعمالات اللغة، ولا يكون واحد منها، بل ولا يلزم أن تكون جميعها ممثلة للغة في كمالها ونقائها المثاليين .

أما عن فكرة النظام أو النسق الذي يتحكم بعناصر وأجزاء النص مجتمعة، والذي يمكن أن يظهر من خلال شبكة العلاقات العميقة بين المستويات النحوية الأسلوبية والإيقاعية، فهي مستمدة من فكرة العلاقات اللغوية التي تعد أساسًا من أسس نظرية دي سوسير والتي وضحها حين قال بأن اللغة ليست مفردات محددة المعاني ولكنها مجموعة علاقات بمعنى إن الكلمة لا يتحددُ معناها إلا بعلاقتِها مع عدد من الكلماتِ، بما سبقها وما لحقها، كما إن العلاقة بين صوت الكلمة ومفهومها كما يرى دي سوسير هي علاقة تعسفية بمعنى أنه لا علاقة لمفهوم الكلمة بصوتها بدليل اختلاف صوت هذا الشيء بين لغة وأخرى، إذن فبناء اللغة أو نظامها لا يتمثل إلا في العلاقات بين الكلمات، وهي تمثل نظامًا متزامنًا حيث أن هذه العلاقات مترابطة .

ونودُ أن نشيرَ إلى أن البنيويةَ كانت في أول ظهورها تهتم بجميع نواحي المعرفة الإنسانية ثم تبلورت في ميدان البحث اللغوي والنقد الأدبي ، إذن فالمنهج البنيوي هو نموذج تصوري

مستعار من علم اللُّغة ، عند دي سوسير في المحل الأول بكل ما يلزم من هذا النموذج من نظرة كليّة تبحث عن العلاقات الآنية التي تُشكل النسق، وتسلم كل التسليم بثنائيات متعارضة تعارض اللغة، والكلام، والآنية، والتعاقب، وعلاقات الجمهور، وعلاقات الغياب ، إذ قسم البنيويون اللغة إلى مستويات كالمستوى الصوتي والفونولوجي والمورفولوجي وإلى وحدات أصغرها الفونيم وهو وحدة النظام الصوتي، يليها المورفيم وهو مجموعة من الوحدات الصوتية قد تكون أدنى من الكلمة لكنها تدخل في علاقة استبدالية مع العناصر الأخرى .

فاللغة هي الرحم الأوّل لنشأة المعيار البنيوي، إذ هي عبر هندستها المتجدّدة وتلازمها الوظيفي مع اللحظة التاريخية تمثل صورة الانبناء كأحسن ما يكون التصوير، فإن المعرفة اللسانية قد استوعبت الفكرة البنيوية فجلت ملامحها ووضعت المفاهيم المؤدية لها .

.

ومن أبرز ما استحدثته البنيوية هو إدخال عامل النسبية في تقدير الظواهر والتخلي نهائيًا عن ناموس الإطلاق الذي قيّد العلم اللغوي تاريخًا طويلاً، أما مِفتاح هذا التحول وهذا التغيير فيتمثل في التمييز الذي علينا أن نعتبر به في تحليلنا للغة بين الزمن الطبيعي، وهو البعد الموضوعي لتوالي الأحداث وتعاقب أجزاء الكلام المعبّر عن تلك الأحداث، والزمن التقديري الذي هو موقف افتراضي يقوم على القيمة الاعتبارية للأشياء كما تعبر عنه اللغة، وهو الزمن التقديري وهو بالتحديد جوهر الفكرة البنيوية وهو بالتالي المعين الذي تستمد منه سطوتها المنهجية .

مصادر المحاضرة :

١/ - ثامر إبراهيم محمد المصاروة : البنيوية بين النشاة والتأسيس – دراسة تأصيلية – مجلد ١ - /ketabonline.com/ar/books/18101 .

٢/ - عبد الله خضر حمد : مناهج النقد الأدبي (السياقية والنسقية) – دار القلم للنشر – بيروت / ٢٠١٧ .

٣/ - موضوع مبادئ اللغة عند دي سوسير
: https://www.tarbikafa.com/2017/01/principles-of-language-when-de-Saussure.html

- **نقلا عن الكتب والمقالات** :

١/ ابن منظور، العلاّمة أبي الفضل جمال الدين، لسان العرب، المجلد التاسع، ط١، دار صادر للنشر، بيروت.
٢/ إديث كريزويل، عصر البنيوية، ترجمة: جابر عصفور، دار سعاد الصباح .
٣/ جان بياجه، البنيوية، ترجمة: عارف منيمنه وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، ط٤، ١٩٨٥م .
روبرت شولز، البنيوية، اتحاد الكتاب العام، ط٦، ١٩٧٧م،

٤/ س. رافيندان، البنيوية والتفكيك تطورات النقد الأدبي، ترجمة: خالدة أحمد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٢م.
٥/ شكري الماضي، في نظرية الأدب، دار الحداثة، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
٦/ شكري عيّاد، بين الفلسفة والنقد، منشورات أصدقاء الكتاب، د.ط، ١٩٩٠م.
٧/ صلاح فضل، النظرية البنائية في النقد الأدبي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، ١٩٨٠م.
٨/ عبد السلام المسدي، البنيوية دراسة ونماذج، وزارة الثقافة، تونس، ط١، ١٩٩١م .
٩/ عز الدين المناصرة، علم الشعريات (قراءة مونتاجية في أدبية الأدب)، دار مجلاوي، عمان، ط١، ٢٠٠٧م.
١٠/ ماري نن بافو – جورج إليا سيرفاتي : النظريات اللسانية الكبرى – تر : محمد الراضي – المنظمة العربية للترجمة بيروت : ٢٠١٢.
١١/ نبيلة إبراهيم، نقد الرواية من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة، مكتبة غريب، القاهرة .
١٢/ يُمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي، بيروت، ط٢، ١٩٩٩م.
١٣/ يورى لوتمان، تحليل النص الشعري، ترجمة: محمد فتوح أحمد، دار المعارف، القاهرة .
١٤/ إبراهيم خليل، مقال بعنوان : انقلاب ثوري في الألسنيات، مجلة أفكار، العدد ١١٨، آب ١٩٩٤م،

١٥/ مزهر حسن الكعبي، مقال بعنوان: البنيوية والتحليل البنيوي في النص الأدبي، جريدة الجريدة، موقع على الإنترنت http://www.aljaredah.com .

المحاضرة الثالثة : حلقة موسكو (رومان جاكبسون)

تمهيد :

تندرج محاور هذه المحاضرة ضمن متطلبات المقياس ، وذلك من خلال مواصلة النسق التاريخي لظهور المدارس اللسانية تباعا ، على اعتبار أن ما كان ثمرة لجهود المرسة السوسيرية السابقة تأسس فعلا مع بوادر الاتجاه الشكلاني في عمومه ، خاصة مع فاتحة التوجه النقدي الشكلاني ثم اللغوي ، ولعل أبرز ما يمكننا التمثيل له في هذه المرحلة هو ما عرف بحلقة موسكو ومن خلالها رائدها الاول وأبرز اعلامها على الإطلاق رومان جاكبسون .

- **حلقة موسكو** [٩]:

تأسست هذه المدرسة التي سماها نقادها أيضا مدرسة الشكلانيين الروس . سنة١٩١٥ على يد مجموعة من الباحثين على رأسهم رومان جاكبسون (١٨٩٦. ١٩٨٢) الذي كان مولعا بعلم اللغة التاريخي ودراسة الآداب ونقد الأساليب وبالفلكلور، إلى جانب الاهتمام بتحليل الشعر ونقده وبالموسيقى وسائرالفنون. ومن أعلامها أيضا الشاعر الروسي فلاديمير مایاكوفسكي (١٨٩٣. ١٩٣٠)، وعالم اللغة الروسي سيرجي كارتشفسكي (١٨٨٤. ١٩٥٥) الذي التحق بالحلقة سنة ١٩١٧ بعد أن تتلمذ في جونيف على يد دو سوسير، وقد كان التحاقه عاملا بارزا في نقل آراء دوسوسير وبثها في المدرسة الوليدة، فتلقف جاكبسون تلك الآراء والمبادئ وأسس عليها أعماله فيما بعد مع مراجعات وتعديلات وانتقادات في أحيان أخرى .

وقد طبعت الحياة العلمية لجاكبسون ثلاث مراحل أساسية :

- تتمثل الأولى في تأسيس حلقة موسكو اللسانية وتلقي آراء سوسير .

٩- ينظر تفاصيل أكثر من محاضرات الاستاذ سعودي – مقياس : المدارس اللسانية بقسم اللغة والأدب العربي / جامعة محمد لمين دباغين – سطيف (https://cte.univ-setif2.dz/moodle/course/view.php?id=2150)

- أما الثانية فكانت مع الهجرة إلى تشكوسلوفاكيا سنة ١٩٢٠ والإسهام في تأسيس حلقة براغ اللغوية مع تروبتسكوي (١٨٩٠.١٩٣٨) وهنا بدأ الاجتهاد في تلقي الآراء السوسيرية ونقدها وطرح البدائل .
- أما المرحلة الثالثة فإيذانها الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعد الغزو الألماني لتشكوسلوفاكيا، حيث استقر جاكبسون في معهد ماساشيوست للتكنولوجيا (MIT) وتفرغ لدراسة قضايا اللسانيات العامة وتعليمية اللغات السلافية وآدابها .

من هنا يمكن القول بأن هذه الحلقة اللسانية التي تكونت سنة ١٩١٥م، كان من أهم عناصرها البارزة رومان جاكبسون الذي أثرى اللسانيات بأبحاثه الصوتية والفونولوجية. كما أغنى الشعرية بكثير من القضايا الإيقاعية والصوتية والتركيبية، سيما نظريته المتعلقة بوظائف اللغة

- **رومان جاكبسون (حياته واهتماماته)**[١٠] :

ولد "جاكوبسون" بموسكو عام ١٨٩٦ من عائلة يهودية روسية برجوازية، تمتع والده بثقافة متنوعة، مما انعكس على شخصية جاكوبسون، فقد كان مولعا بالمطالعة منذ الصغر، فأتقن اللغة الفرنسية وتعلم الألمانية واللاتينية، كما اهتم بالشعر، وقرأ لكبار الشعراء الروس خاصة حتى أنه حلل شعر: "مالارميه" وهو في سن الثانية عشر، ونظم الشعر وهو في سن الخامسة عشر، واهتم بالفولوكلور وهر ابن السادسة عشر، وهكذا بدأ بتكوين شخصيته المتميزة وعالمه الخاص، وتخصص "جاكوبسون" في جامعة موسكو في جامعة القواعد المقارنة وفقه اللغة السلافية، كما اهتم بالعلاقة بين اللغة والأدب وبدروس "دي سوسير" وشارك في إنشاء مدرسة براغ اللسانية عام ١٩١٥، ويعد من أوائل اللسانيين في تناول التحليل البنيوي للأشكال الأدبية ودراسة النص الأدبي لذاته بمعزل من صاحبه.

وفي عام ١٩٢٠ توجه إلى تشيكوسلوفاكيا، عندما شارك في تأسيس نادي براغ واصدر عام ١٩٢١ دراسة تناولت الشعر الروسي الحديث، وفي سنة ١٩٢٨ وضع مع "تروبتسكوي" و "كارسيفسكي" النظريات اللسانية التي اعتمدتها مدرسة براغ، وفي عام ١٩٣٨ شغل منصب

١٠- ينظر تفاصيل هذه الجزئيات ضمن المحاضرة (٢) عن رومان جاكبسون ، نقلا عن : **نعمان بو قرة** : المدارس اللسانية المعاصرة . **عبد القادر الغزالي** : اللسانيات و نظرية التواصل :

https://elearning.univ-eloued.dz/mod/resource/view.php?id=19663

نائب الرئيس لهذه المدرسة. وفي سنة ١٩٤٢ انتقل إلى الدنمارك والنرويج، ثم الولايات المتحدة الأمريكية حيث درس في معهد الدروس العليا في نيويورك، إلى غاية سنة ١٩٤٦ ثم في جامعة كولومبيا إلى غاية سنة ١٩٤٩ و "هارفرد" إلى غاية ١٩٥٧.

كان لقاء جاكوبسون في الولايات المتحدة الأمريكية ببعض تلاميذ فرويد وبعض العلماء البارزين، أمثال تشومسكي (Chomsky)، وهال (Hall) ولفي ستراوس (Levi Strauss) الأثر الكبير في تطوير اللسانية الحديثة، إضافة على تعرفه على علماء في الرياضيات والفيزياء وعلم الأعصاب، فكان وسيطا بين العلوم الدقيقة والعلوم اللسانية الحديثة، وقد ساعد "جاكوبسون" الظروف التي أحيط بها منذ طفولته وكذلك أسفاره ومقابلاته الكثيرة، على إغناء دراسته وتعميقها وتنويعها، لاسيما أنه يتمتع بذاكرة قوية، وتوفي "جاكوبسون" سنة ١٩٨٣ بعد أن أمضى حياته في العمل الدائب والبحث المستمر والدراسة الجادة.

كان للاطلاع الواسع الذي سمح لـ جاكوبسون خلال عمره المديد، والسفر المتواصل، أكبر الأثر في مضمون مؤلفاته، ودراساته، فقد كان غنيّا في علمه، متشبعاً في معارفه، غزيراً في إنتاجه، موسوعياً في معلوماته، وزاد ما كتبه على أربع مئة وأربع وسبعين عنواناً منها ثلاث مئة وأربعة وسبعون كتابا ومقالا، فضلا عن مئة من النصوص المختلفة في موضوعاتها،

و قد دارت دراساته حول أربعة مجالات هي:

١. الفونولوجيا.
٢. نمو الطفل اللّغوي وأمراض الكلام.
٣. الوظيفة الشعرية أو الإنشائية.
٤. منهجية تحليل النصوص .

لا ينكر أحد من الدارسين اليوم أن جميع الاتجاهات اللسانية الكبرى تقر بأن اللغة تقوم بوظائف كثيرة ، و أهم هذه الوظائف على الإطلاق وظيفة التبليغ و التواصل ، و لكن الذي نراه مهما في هذا الصدد هو التعريف الضابط للوظيفة من كونها " المهمة الموكولة إلى عنصر لساني بنيوي (طبقة آلية) للوصول إلى هدف في إطار التواصل البشري "[١١] ، أي ما يجعلنا ننظر إلى طبيعة المهام المسندة لعناصرها و التعامل معها كنسق تواصل ، الأمر الذي يعود بنا إلى أشهر التصانيف في هذا الاشتغال .

- **رومان جاكبسون ووظائف اللغة :**

لقد وضع رومان جاكبسون (١٨٩٦- ١٩٨٢) نموذجا للتواصل اللغوي أراد من خلاله إبراز وظائف اللغة مستندا في ذلك إلى خلفياته الوظيفية و البنيوية و من علوم الاتصال فكان

١١- ماري آن بافو – جورج إليا سرفاتي : النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية " – تر. محمد الراضي – مركز دراسات الوحدة العربية – ط١/ ٢٠١٢ – ص : ٢٠٢ .

أنموذجه تواصليا بنيويا ، و حدد عناصر التواصل فيه بـ : المرسل ، المرسل إليه ، المرجع ، القناة ، النسق (الوضع) ، الرسالة .

ومن هذا التصور حدد مجموعة الوظائف المعروفة : الوظيفة الانفعالية (التعبيرية) ، المرجعية (الإحالية) ، التأثيرية (إقامة التواصل) ، الشعرية ، الندائية ، الميتالغوية .

ويميّز رومان جاكوبسون ستَ وظائف لغوية تنبثق عن مكونات للنموذج التواصلي هي :

- الوظيفية المعرفية Cognitive "الوضعية" أو "المرجعية" .
- الوظيفة التعبيرية Expressive "الانفعالية" (المرسل) .
- الوظيفة الإفهاميةConative (المرسل إليه) .
- الوظيفة الانتباهية: *Phatique* (إقامة الاتصال) .
- الوظيفة الميتا لسانية *Metalinguistique* (السنن) .
- الوظيفة الشعرية *Poetique* الرسالة .

إنّ هذه الوظائف هي محاولة تحليلية ونقدية اكتشف بواسطتها رومان جاكوبسون تنوعات لغوية غالبا ما تمّ الخلط بينها أو كانت مجهولة، فهذا الاكتشاف يفتح في وجه اللسانيات آفاقاً رحبة لدراسات متعمّقة تميّز خصوصيات الرسائل اللفظية وتنوعاتها .

وإن كان هذا الطرح تلقاه الناس في عصره بالقبول و الإعجاب ، و لكن بعد ذلك و في ظل ظهور نظريات السياق و التداول تبين أن هناك ثغرات ، فالنموذج المقترح يحتاج إلى تعديل و إعادة نظر و صارت هذه الوظائف غير مقنعة .

وأهم ما قيل عن ذلك أنه بهذا الطرح يتم التعامل مع اللغة بمعزل عن أغراض التخاطب ، و أصبح من جملة ما قدَم من نقد لمشروع جاكبسون هو النقد المعرفي الموجه للبنيوية في عمومه ، فمن ذلك اقتراح (روبول) في العدول عن تسمية (الوظيفة الانفعالية) بـ (الوظيفة التعبيرية) على أساس أن الانفعال أقل من التعبير فالتعبيرية أشمل من ذلك ، كما يرى من وجهة نظر أخرى أن (الوظيفة المرجعية) يجدر بها أن تكون (التسمية) لأن هناك بعض التعابير التي لا مرجعية لها [١٢] .

وغيره أيضا من النقود الموجهة كالذي كان من صميم رواد نظرية الأدب فـ " صحيح أن رومان جاكبسون قد عرض في مقاله المشهور (اللسانيات و الشعرية سنة ١٩٦٣) الوظائف المختلفة للغة في إطار نظرية التواصل ، غير أنه لم يعر اهتماما كبيرا لدور القارئ في عملية التواصل ، سواء في صلب النظرية أو في تحليله لنصوص الشعر ، لم يكن يثيره ما يمكن أن

١٣- عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية – دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت – ط١/ ٢٠٠٤ : ينظر تمهيد صاحب الكتاب : ص : (١١- ١٤) .

يلحق تأويل نص وتقويمه من تغييرات بسبب الظروف التاريخية المتغيرة "[١٣] ، ومنه أيضا ما كان لنقد نموذج خطاطته الوظائفية ، ففي هاته الخطاطة " يمكن أن نؤاخذه على عدم تأمله في مقومات كافية ، و يحاول بعد ذلك تركيب الخطاطة حتى تصبح بطاقة أكثر استيعابا لمجال اهتمامها "[١٤] .

كما يمكننا اعتبار جاكبسون اسما بارزا في ميدان الدراسات الفونولوجية والصوتية والتاريخية للغة ، مع بالغ اهتماماته باللغة عند الأطفال والأمراض النطقية و الحبسة اللسانية ...وغيرها . بالإضافة إلى ما جعل من اسم جاكبسون الأسطورة التي تعايش جميع اللسانيين معه وبعده ، إذ اقترن اسمه بدي سوسير في مخالفته وإعادة بناء نظريته من عدة رؤى وجوانب ، من ذلك جملة ما نحصره في[١٥] :

- **ما غفل عنه دي سوسير:**

استلهم جاكبسون رفقة تروبتسكوي مبدأ النظام الذي قال به دو سوسير القاضي بأن اللغة كيان مكتف ذاتيا وهي في جوهرها نظام من العناصر التي تعمل من خلال الفروق بين لغة وأخرى دون إعارة اهتمام للأنظمة الصوتية (اللغة شكل لا مادة)، لكنهما انفتحا على دراسة تلك الأنظمة الصوتية، فقد اتجه الأول إلى دراسة التطورات التاريخية للأنظمة الصوتية اللغوية، وتعهد الثاني باعتماد مفهوم النظام المكتفي في تحليل النظم الصوتية في كل الألسن البشرية. غير أن دراستهما بينت هشاشة المبدإ السوسيري؛ نظرا لأن النظام الصوتي ليس من طبيعة واحدة تماما، وإذا كان دوسوسير يرى أن لا شيء يربط المادة الصوتية سوى مبدإ الاختلاف، فإنهما يعتقدان بأن أصوات مثل (f)(d)(t) لا رابط بينها إلا كونها فونيمات متمايزة ما دامت تعمل على التمييز بين المعاني، في وقت أن (t)(d) تربطهما علاقة أكثر مما يرتبطان بالصوت (f)؛ وذلك بالنظر إلى أن أعضاء النطق تأخذ نفس الوضع في نطقهما مع قيمة خلافية جوهرية هي الجهر في (D) دون (T). وهنا يطرحان مصطلحات مهمة في ضبط المفاهيم: (الارتباط) عندما تقوم علاقة مفهومة وواضحة بين صوتين أو أكثر و(القطع) عندما تنعدم تلك العلاقة، ولا تكون عندئذ إلا قيمة المفارقة والاختلاف لا غير، (الفونيم الأساسي) ويقصدان به كل الخصائص المشتركة التي توحد بين صوتين أو

١٤- محمد العمري : نظرية الأدب في القرن العشرين – دار إفريقيا الشرق / المغرب – ط٢/ ٢٠٠٤ – ص : ٣٢ .

١٥- ك . اوريكيوني : فعل القول من الذاتية في اللغة – تر: محمد نظيف – دار إفريقيا الشرق / المغرب ط١/ ٢٠٠٧ – ص : ١٨ .

[١٥] - ينظر تفاصيل أكثر من محاضرات الاستاذ سعودي – مقياس : المدارس اللسانية بقسم اللغة والأدب العربي / جامعة محمد لمين دباغين – سطيف (https://cte.univ-setif2.dz/moodle/course/view.php?id=2150)

أكثر بغض النظر عما قد ينفرد به صوت منها من الخصوصيات المسماة (علامة) كالجهر الحاضر في (d) الغائب في (t).

- **البنيوية الهرمية** :

اقترح جاكبسون في إطار هذا التصور سلما هرميا للأصوات في كل اللغات الإنسانية، فصوت مثل (a / ا) صوت غير معلم، وهو يخرج بأقل قدر من الإغلاق للمجرى، إلا أنه كلما أضفنا إليه درجة ما من درجات الإغلاق (اللسان/ اللسان مع الشفتين/ الحنجرة بالنسبة للأصوات الصامتة) كان ذلك تعليما نطقيا مؤثرا على الصوت الأساسي (غير المعلم/ المتحرر/ المطلق). وتتمثل أعلى درجة لتمييز في أولى الكلمات التي يكتسبها الطفل (ماما/ بابا) التي تحمل تضادا بين أدنى السلم وأعلاه (الصائت المتحرر في مقابل الصامت الشفوي الانفجاري) ، كما أن صعوبة اكتساب أصوات معينة أو سهولة أخرى راجع عند جاكبسون إلى العقل ومدى اكتمال بنياته لا إلى اللسان بوصفه عضوا مكتملا، ونظير هذا مهارتي القراءة والكتابة، فالأمر إذن يتعلق بسهولة إدراك العقل لأصوات دون أخرى أو بصعوبته، وقد أشار إلى أن رتبة صوت معين ضمن السلم الكوني للاكتساب الصوتي عند الأطفال يتطابق مع درجة توزيعه بين لغات العالم، فهم يتعلمون الفوارق القوية قبل الضعيفة، وعليه فإن اكتساب الأصوات الاحتكاكية (فوارق ضعيفة) يعني بالضرورة اكتساب القطعية الموقوفة الانفجارية. أما عند الفقدان بسبب مرض الحبسة الكلامية فالأمر يأخذ مسارا عكسيا، فتكون الأصوات غير المعلمة أكثر ثباتا من المعلمة التي يسرع إليها التأثير، والحال نفسها بالنسبة إلى الأكثر والأقل تعليما.

- **أسباب التغيرات الصوتية :**

إذا كانت قناعة النحاة الجدد من أنصار مدرسة "ليبزغ" الذين أثروا كثيرا في دوسوسير مفادها أن التغيرات التي تحدث في المستوى الصوتي في تاريخ لغة من اللغات لا يمكن تفسيرها إلا بتحكمية القوانين الداخلية التي تحكم اللغة ولا شيء غير ذلك، فإن جاكبسون يعتقد بأن ما يصيب أصوات اللغة في تاريخها الطويل يرجع إلى سبب رئيس يقبع خارج البنية وهو (الوظيفة)، وهو ما يعد امتدادا لرأي سقراط في عمل اللغات، كما عرضه أفلاطون في محاوراته، وبخاصة محاورة كراتيليس .

- **حقيقة اللغة في الواقع (الوظيفية) :**

وقد سبق الكلام عن خطاطة التواصل التي جاء بها ووظائف اللغة ونقدها ، لكن ليس بعيدا عن النظر معرفة ما كان جاكبسون يتغياه ، إذ ينص جاكبسون على أن "اللغة في الواقع أداة انتظمت بقصد التعبير عن الأفكار"، يكون بذلك قد فتح الباب لتجاوز تحكمية الوظيفة إلى مجال الأساليب، وخاصة ما يعرف بالأسلوبية التعبيرية التي أرسى دعائمها شارل بالي. لكن الإشكال الذي ينهض ما يذهب إليه جاكبسون هو دعوته إلى نسبة التغيرات إلى الوظيفة وإلى نفي أي قصدية تقف وراء ذلك التغير، وهذا يشبه إلى حد بعيد فكرة اليد الخفية التي قال بها آدم سميث في نظريته في الاقتصاد .

كما تبني جاكبسون في محاولة معرفة أسباب التغيرات اللغوية الصوتية مقاربة تحمل هي الأخرى إشكالا واضحا، وذلك عندما قال بأن العلامة اللغوية تاريخية سكونية في الوقت نفسه، وهو يقصد استصحاب التاريخ في فهم الحالة الراهنة التي ليست سوى سلسلة من التغيرات في التاريخ، حتى استقرت على ما هي عليه ، وقد استثمر ذلك في معالجته للأدب وتحليله للأساليب النثرية والشعرية، وقد نبه إلى أن موضوع علم الأدب ليس هو البحث في الأدب، بل في الأدبية، وهو ما يكون به نص ما أدبا.

مصادر المحاضرة :

- **الكتب :**

١/ - ماري آن بافو – جورج إليا سرفاتي : النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية " – تر. محمد الراضي – مركز دراسات الوحدة العربية – ط١/ ٢٠١٢ – ص : ٢٠٢ .

٢/ - عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية – دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت – ط١/ ٢٠٠٤ : ينظر تمهيد صاحب الكتاب : ص : (١١- ١٤) .

٣/ - ك . اوريكيوني : فعل القول من الذاتية في اللغة – تر: محمد نظيف – دار إفريقيا الشرق / المغرب ط١/ ٢٠٠٧ – ص : ١٨ .

٤/ - محمد العمرى : نظرية الأدب في القرن العشرين – دار إفريقيا الشرق / المغرب – ط٢/ ٢٠٠٤ – ص : ٣٢ .

- **المواقع :**

١/ - ينظر تفاصيل أكثر من محاضرات الاستاذ سعودي – مقياس : المدارس اللسانية بقسم اللغة والأدب العربي / جامعة محمد لمين دباغين – سطيف :

(https://cte.univ-setif2.dz/moodle/course/view.php?id=2150)

٢/ - ينظر تفاصيل هذه الجزئيات ضمن المحاضرة (٢) عن رومان جاكبسون ، نقلا عن : **نعمان بو قرة** : المدارس اللسانيةالمعاصرة . **عبد القادر الغزالي** : اللسانيات و نظرية التواصل :

(https://elearning.univ-eloued.dz/mod/resource/view.php?id=19663)

المحاضرة الرابعة : مدرسة براغ (١) ن . تروبتسكوي

تمهيد :

إنّ اللّغة وعاء التّجارب الشّعبية والعادات والتّقاليد والعقائد التي تتوارثها الأجيال جيلا بعد جيل، وصفة الاستمرار هذه لا تتأتّى إلّا عن طريق اللّغة، وتبقى ببقاء ما يدلّ عليها من المفردات والتّراكيب.

- **تروبتسكوي وحلقة براغ[١٦] :**

يعدّ تروبتسكوي من اقطاب مدرسة براغ ، روسي العائلة ، من طبقة النبلاء نشا على الحريات العقلية والسياسية والمبادئ الليبرالية منذ صغره ، انغمس مبكرا في البحث اللساني الباليوسيبيرية واهتم بعلوم الإثنولوجيا والاجتماع وفلسفة التاريخ ن وتاريخ الحضارات ، التحق بجامعو موسكو سنة ١٩٠٨ ، ناقش اطروحته حول مستقبل اللغة الهندية – أوروبية عام ١٩١٦ . ثم صار أستاذا فيها.

في الحرب العالمية الاولى اضطرته الحرب إلى التنقل بين بعض المدن ، وإثر سقوط روستوف التي يدرس في جامعتها سافر إلى القسطنطينية عام ١٩١٩ ، درس اللسانيات الهندوأوروبية بصوفيا والفيلولوجيا السلافية في فينّا ، وصار فيها عضوا في نادي براغ اللساني الذي كان يرأسه يومئذ (ماثيزيوس) ، توفي تروبتسكوي سنة ١٩٣٨ .

- **اهتمامات حلقة براغ مع تروبتسكوي :**

انطلاقا من أفكار دي سوسير ساهم نيكولاي تروبتسكوي (١٨٩٠-١٩٣٨) في إعداد حلقة براغ بشكل كبير ، مما دفع بها إلى ملامح التطور السريع ن ومن خلال الندوة الدولية (براغ ١٩٣٠) التي انعقدت للفونولوجيا ثم تلتها تظاهرات دولية أخرى شكّل بذلك تروبتسكوي بمؤلفاته وجهوده قاعدة دولية استثمرها جل من أتى بعده من امثال مارتينيه و غوغنهايم بل حتى بلومفيلد...وغيرهم،فإن مساهمته النظريــة الأهم هي مقاربته الصارمــة لمفهوم الفونيم، و للعلاقات التي تربط بين الفونيمات " [١٧] .

١٧- السعيد شنوقة : مدخل غلى المدارس اللسانية – المكتبة الازهرية للتراث – القاهرة ٢٠٠٨ – ص : ٦٨ .

١٨- ماري آن بافو و جورج إليا سيرفاتي : النظريات اللسانية الكبرى – مرجع سابق – ص : ٢٠٧

ولأنّ الصّوت بالمعنى العام هو الأثر السّمعيّ الذّي به ذبذبة مستمرّة مطّردة حتّى ولو لم يكن مصدره جهازا صوتيّا حيّا (لغويّا كان أو غير لغويّ)، ويشمل ما يصدر عن الإنسان أو عن الآلات أو عن غيرها . فقد اخذ حيزا بالغا عند علماء حلقة براغ وخاصة منهم تروبتسكوي .

- **بين الفونيتيك والفونولوجيا :**

لقد كان كتاب تروبتسكوي (مبادئ الفونولوجيا) المؤلف سنة ١٩٣٩ بمثابة العمل التوليفي الجامع لمباحث الصواتة (الفونولوجيا) لحلقة براغ ، بل لقد صار عمله مؤسسا لتخصص يصدر لاسمه وللحلقة عموما .

والسؤال الذي ينبغي طرحه ههنا : فيم يمكننا أن نميز هذا الطرح عند تروبتسكوي خاصة بين الفونيتيك (الأصواتيات) والفونولوجيا (الصواتة) ؟ .

يمكننا رصد أهم ما بيّنه تروبتسكوي في هذا الشأن ، من خلال معرفتنا أولا لما سبق عند دي سوسير[١٨] في اهتمامه بالتفريق بين هذين المستووين ، إذ تبين من خلال دراسة الصوت عموما عنده أنه ميّز بين الفونيتيك والفونولوجيا ، إذ يُعدّ الفونيتيك الفرع المنبثق من العلم التّاريخي الذّي يحلّل الأحداث والتّغيرات والتّطورات عبر السّنين فهو جزء أساسيّ من علم اللّغة ، أمّا الفونولوجيا فهي الدّراسة العملية الميكانيكيّة للنّطق، وبالتّالي فهي علم مساعد لعلم اللّغة .

ولقد تبيّن مع مدرسة براغ الوظيفيّة عكس ما كان مع دي سوسير، إذ يعتبر روّادها الفونولوجيا ذلك الفرع من علم اللّغة الذّي يعالج الظّواهر الصّوتية من ناحية وظيفتها اللّغوية، فهي بهذا فرع من علم اللّغة، أمّا الفونيتيك فهو فرع خارج عن علم اللّغة بل مساعد له.

وبحسب رأي تروبتسكوي فإنه " لم يسهم دو سوسير المستند إلى كتاب المحاضرات في اللسانيات العامة ، في تطوير فكرة التمييز بين الصوت المادي الذي يشكل المادة اللسانية وبين الاثر النفسي يخلفه هذا الصوت ، أي بين الصوت والفونيم ، على الرغم من انه أحسن تعبير هذه الثنائية من سويت ، وعلى الرغم من أنه عبر تعبيرا صريحا عن الطابع غير المادي للدال والميزة الخلافية والنسبية للعناصر المكونة لهذا الدال، إلا انه لم يميز ، في نظر تروبتسكوي بين مادتين علميتين، تنتمي إحداهما إلى مجال اللسان وتعنى بالعناصر الخلافية للدال غير

١٩- تمّام حسان، مناهج البحث في اللّغة، مكتب النسر للطباعة، ١٩٨٩، القاهرة. / كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للنّشر، ٢٠٠٠، القاهرة .

المادي بينما تنتمي الاخرى إلى مجال الكلام وتعنى بأصول اللغة دون اعتبار لوظيفتها الخلافية "[١٩].

على كلّ يمكننا النّظر إلى هذه الاعتبارات من وجهة نظر بعض المحدثين بالقول بعلم الأصوات وعلم وظائف الأصوات، أو ما يصطلح بالفونيتيك والفونولوجيا على أساس اكتفاء الأوّل منهما لدراسة المادّة الصّوتية كحدث منطوق، والثّاني بتبيين وظيفة هذا الصّوت وقيمته في اللّغة المعيّنة، ثمّ وضع قواعد ونظم تحدد نوعيات هذه الأصوات وصنوفها من حيث أدوارها في البناء اللّغوي .

يميز تروبتسكوي بين الصواتة والأصواتيات على أساس الدلالة " إن ما يميز الأصواتيات أساسا هو إقصاؤها التام لأية علاقة بين المركب الصوتي المدروس وبين دلالته اللغوية ... الصواتة عليها أن تبحث في الاختلافات الصوتية المرتبطة في اللغة المدروسة ، باختلافات في المعنى ن وفي الكيفية التي تتصرف بها العناصر المميزة أو العلامات مع بعضها البعض ، وبناء على أيّة قواعد تستطيع تتآلف في ما بينها لبناء كلمات أوجمل " [٢٠].

وعلى هذا الاساس ومما سبق يورد تروبتسكوي اهم ما يكون من صلب اشتغال المهتم بالفونيتيك ، إذ ينكب على دراسة الجانب المادي للصوت ، في حين المهتم بالفونولوجيا يصب بالغ اهتماماته على الصوت من حيث هو الذي يقوم بوظيفة في النسق اللغوي التي تهدف إلى إنتاج المعنى في منظور تواصلي بالأساس . (وفي مقال له صدر سنة ١٩٣٢ يقدم تروبتسكوي طروحاته بوضوح – يمكن النظر إلى تفصيل ذلك [٢١]) .

- **الفونيم عند تروبتسكوي :**

يعتبر التعريف الذي قدمه تروبتسكوي للفونيم من بين التعريفات الأكثر ثباتا ، والأكثر صرامة في التمييز بين (الفونيم والصوت) ، مشيرا غلى ما ينبغي مسايرته للجو السائد في الدراسات آنذاك ، ثم يحاول تجسيد هذا التمييز تطبيقيا على طرق النطق للفونيم (r) الفرنسية مميزا له بثلاث علامات فارقة صوتية مختلفة " بما انه يتم إنتاج ثلاثة أصوات مختلفة : /r/ المكرر roulé الممثل له بـ[r] و /r/ اللهوي grasseyé الممثل له بـ[R] ، و/r/ المركزي central الممثل له بـ[R] . نقول إذن إن : [r] و [R] و [R] بدائل للفونيم /r/ "[٢٢].

٢٠- مختار الزواوي : دوسوسير من جديد – مدخل إلى اللسانيات – ابن النديم / وهران – الجزائر – ٢٠١٨ – ص : ٨٦ .

٢١- ماري آن بافو و جورج إليا سيرفاتي : النظريات اللسانية الكبرى – مرجع سابق – ص : ٢٠٧ .

٢٢- ماري آن بافو و جورج إليا سيرفاتي : النظريات اللسانية الكبرى – مرجع سابق – ص :٢٠٨

٢٣- النظريات اللسانية الكبرى : مرجع سابق – ص : ٢١٠

كما يقدم تروبتسكوي عند عرضه للدراسة المستفيضة للفونولوجيا (الصواتة) مسائل في غاية الدقة والتفصيل منها ما يتعلق بـ**الروابط بين الفونيمات**[٢٣]، إذ ميز بين نوعين من التعارض الصواتي (الفونولوجي) وهما : التعالق والفصل ، فتعارض يرجع إلى التعالق وتعارض يرجع إلى الفصل ، ثم بين كيف يمكن تحييد التعارضات لاعتبار هذا التحييد من بين المبادئ الاساسية للنسق الفونولوجي على حد تعبيره ، والذي تجدر الإشارة غليه ههنا ما يستلزم التمييز بين التحييدات (التحييد الناجم عن البنية ، التحييد السياقي أي الناجم عن المحيط الصواتي ، التحييد المغاير ، التحييد المماثل) ، ومن هذه المسائل أيضا مايتعلق **بتجميع الفونيمات** ،ومنها **التطور الصواتي (الفونولوجي)** .

ويمكننا في الأخير ان نقول أن تروبتسكوي هو الذي بلور في أجلى مظهر نتائج أعمال حلقة براغ الوظيفية في عمله الموسوم بـ : (مبادئ الأصوات الوظيفية) إلاّ أن النظرية الوظيفية لم تتبلور في كل مظاهرها مع مدرسة براغ، فقد تواصل بناؤها وصقلت مبادؤها ومفاهيمها في فرنسا عن طريق "أندريه مارتيني" كما تجسدت جل معطياتها الفعلية على يد المتأخرين من أمثال "إيميل بنفينيست " .

مصادر المحاضرة :

١/ - تمّام حسان، مناهج البحث في اللّغة، مكتب النسر للطباعة، ١٩٨٩، القاهرة. / كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للنّشر، ٢٠٠٠، القاهرة .

٢/- السعيد شنوقة : مدخل إلى المدارس اللسانية – المكتبة الازهرية للتراث – القاهرة ٢٠٠٨ .

٣/- ماري آن بافو و جورج إليا سيرفاتي : النظريات اللسانية الكبرى – مرجع سابق

٤/- مختار الزواوي : دوسوسير من جديد – مدخل إلى اللسانيات – ابن النديم / وهران – الجزائر – ٢٠١٨

٢٤ - المرجع نفسه - ص : ٢١١ .